

المؤمنون والحرب الروحية

(Arabic – The believers and the spiritual warfare)

أحبائي.. حديثنا اليومَ موضوعُهُ: المؤمنون والحربُ الروحيةُ

ومن رسالة بولس الرسول إلى مؤمني أفسس الأصحاح السادس نقرأ العددَ الثاني عشرَ:

"فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم. بل مع الرؤساء. مع السلاطين. مع ولاة العالم. على ظلمة هذا الدهر. مع أجناد الشرِّ الروحية في السماويات".^١

إن اشتعال الحرب الروحية لا يتضح إلا إذا أدرك المؤمن أن هناك عدواً يهاجم. وشعور المؤمن بالسلام مع العالم الحاضر لا يعنى أنه ليس مهاجماً من العدو. ولكن ذلك يعنى أنه غافل عن عدوه الذى يظهر أحياناً كملك نور.. فمن يتظاهر أنه صديق متعاطف قد يكون ألد الأعداء وأشرهم. وبالرجوع إلى كلمة الله نعرف أن تواجد آدم وحواء على الأرض مأساة لها قصة مع عدو خدعهما. إذ قدم لهما نصيحة أوقعتهما فى معصية الله.^٢

كان آدم وبصحبته حواء فى جنة. جاءهما إبليس فى ثوب الصديق التامح. وانطلت عليهما الحيلة الماكرة. لقد بدأ حديثه معهما بتلك الكلمات: "أحقا قال الله؟". ومن هنا بدأت شكوكهما فى أقوال الله. وخانتهم الذكارة وتغافلا عن أقوال الله لهما. وظهر لهما الباطل الذى جاء به إبليس وصدقوه على أنه الحق. وانساقوا وراءه. وانقطعت علاقتهما بجنة عدن. وما زال إبليس يتعامل معنا نحن أولاد آدم وحواء بنفس الأسلوب. إن إبليس عدو لنا وإن كنا لا نراه ولكن ليس عسيراً على المؤمن أن يدرك خطئه وحيله وأطماعه. إن بولس الرسول يحذر مؤمنى كورنثوس فى رسالته الثانية الأصحاح الثانى بقوله: "لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره".^٣ إنه يعيد التمثيلية عساه يسقط فى المعصية أكبر عدد من نسل آدم وحواء. ويحرمهم من فردوس التعميم الذى أعدّه الله لأولاده فيضمهم إبليس إلى مملكته المسمّاة بمملكة الظلمة ليكون مصيرهم "النار الأبدية المعدة له ولإملائكته".^٤

إن كبرياء الإنسان وعزوره هما مشكلته الكبرى. لأن كبرياءه يشعره بأن لا وجود لقوة تقف أمامه لتسقطه من على عرش بناءه لنفسه. ومثال ذلك الولايات الأمريكية. فلقد شعرت بأنها القوة العظمى. وإذا بالعدو يأتيها مخادعا إلى عقر دارها واحتضنته مرحبة به وبغيره. احتضنت الأختار والأشترار دون استثناء. وعاش العدو يستمتع بأحضانها المفتوحة إذ اعتبرته واحداً من أبنائها. وتمتع على أرضها بكل الحقوق والامتيازات من مأكول ومشرب ومسكن وثقافة وتعليم ورعاية صحية. واستخدم وسائل النقل بداخلها وتدريب على قيادة الطائرات فى أجوائها. حتى جاء ذلك اليوم الذى باستخدام ما تمتلكه وتدريب عليه دمرها. أصاع فى دقائق معدودة ما يفوق التصور والخيال. وخرج الشعب الأمريكى من تلك المحنة بدروس انتفع بها. والمؤمن يواجه فى حربه الروحية عدواً ليس من دم ولحم. فلقد جاء برسالة بولس الرسول إلى مؤمني أفسس توضيحاً لنوع مصارعتنا بقوله: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم. بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر. مع أجناد الشرِّ الروحية فى السماويات". وبالتأمل فى كلمة الله وعلى ضوئها نتعلم دروساً فى حربنا الروحية نوجزها فى ثلاثة:^٤

أولاً: العدو الحقيقى للمؤمن لا يرى بالعين.. فلو رأت أمريكا عدوها بعينها قبل الحادى عشر من سبتمبر لما عجزت عن إبادته فى الوقت المناسب بأقل التكاليف وأقل ذخيرة. ولأنقذت آلافاً من مواطنيها من الموت. وآلافاً من الأطفال من دخول ملاجئ الأيتام. وآلافاً من النساء اضطرنَّ لطرق أبواب المعونات للأرامل.

استمع إلى الإنجيل

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني أفسس ٦: ١٢

^٢ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمني كورنثوس ١١: ١٤

^٣ إنجيل متى ٢٥: ٤١

^٤ سفر الأمثال ١٦: ١٨

إنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهَرُ عَلَى حَيَاتِهِ الرَّوحِيَّةِ وَيَسْتَلْهِمُ مَشُورَتَهُ سَاجِدًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. فَمَيِّدَانُ مُصَارَعَتِهِ بِاخْتِلَافِهِ مُتَضَرِّعًا إِلَى الرَّبِّ لِلْحُصُولِ عَلَى قُوَّةِ رَوْحِيَّةٍ وَحِكْمَةٍ سَمَاوِيَّةٍ بِهَا يَنْتَصِرُ عَلَى أَجْنَادِ الشَّرِّ غَيْرِ الْمَنْطُورَةِ. وَلَيْسَ اسْتِنَادًا عَلَى قُوَّتِهِ أَوْ حِكْمَتِهِ لِاسْتِرْدَادِ مَا اقْتَنَصَهُ إِبْلِيسُ. وَلَقَدْ كَتَبَ بَطْرُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى مُحَذِّرًا بِقَوْلِهِ: "اصْحُوا وَاسْهَرُوا لِأَنَّ إِبْلِيسَ خَصَمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ فِقَاوْمُهُ رَاسِخِينَ فِي الْإِيمَانِ".^١

ثانيًا: وَجُودُ الْعَدُوِّ بِأَجْنَادِهِ فِي الدَّخْلِ أخطرُ مِنْ وَجُودِهِ بِأَجْنَادِهِ فِي الْخَارِجِ.. لَمْ تَكُنْ أَمْرِيكََا تَهْتَمُ بِفَحْصِ مَا بَدَأَ لَهَا مِنْ مُنْظَمَاتٍ وَهَيْئَاتٍ مُنْتَشِرَةٍ بَيْنَ رُبُوعِهَا. وَهَذِهِ كَانَتْ تَنْتَظِرُ بَانَ هَدَفَهَا جَمْعَ الْمَعُونَاتِ لِلْمَنْكُوبِينَ فِي دَوْلِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ. وَفِي الْحَقِيقَةِ كَانَتْ تِلْكَ الْمُنْظَمَاتُ وَالهَيْئَاتُ تَجْمَعُ مَلَائِينَ الدُّوَلَارَاتِ لِمُنْظَمَاتِ الْإِرْهَابِ الَّتِي قَامَتْ فِي الْخَفَاءِ بِتَدْبِيرِ مُخَطِّطِ الدَّمَارِ وَالْخَرَابِ لَهَا. لَيْتِنَا كَمُؤْمِنِينَ نَدْرِكُ أَنَّ إِبْلِيسَ لَيْسَ بَعِيدًا عَنَّا. فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا أَكْثَرَ مِمَّا نَظُنُّ. وَلَيْسَ عَسِيرًا عَلَيْهِ أَنْ يَصِلَ إِلَى أَعْمَاقِنَا مِنَ الدَّخْلِ. بِأَسْلِحَةٍ فَتَاكَةٍ يَدْمُرُ بِهَا حَيَاتِنَا الرَّوحِيَّةَ. هَذَا إِذَا سَمَحْنَا لَهُ بِشَعْرَةٍ صَغِيرَةٍ لِيَخْتَرِقَهَا. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُلَوِّثَ أَفْكَارَنَا بِمَا نَظُنُّهُ جَائِزًا لَنَا مُشَاهَدَتَهُ مِنْ بَرَامِجٍ وَمُسْلَسَلَاتٍ. أَوْ مَا نَقْرُوهُ مِنْ كُتُبٍ وَمَجَلَّاتٍ. أَوْ مَا نَمَارِسُهُ كِتَسَلِيَّةً نَعْتَبِرُهَا بَرِيئَةً وَهِيَ تَخْفَى وَرَاءَهَا مَا يَصْبِحُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِذْمَانًا يُفْسِدُ حَيَاتِنَا وَحَيَاةَ أَوْلَادِنَا. قَالَ آسَافُ فِي مَرْمُورِهِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ: "أَمَّا أَنَا فَكَادَتْ تَزُلُّ قَدَمَايَ لَوْ لَا قَلِيلٌ لَزَلْتُ خَطَوَاتِي". وَكَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي رُومِيَّةِ الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ يَقُولُ: "فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ أَيُّ فِي جَسَدِي شَيْءٌ صَالِحٌ". وَفِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي كُورِنْثُوسِ الْأَصْحَاحِ التَّاسِعِ كَتَبَ يَقُولُ: "أَقِمَّ جَسَدِي وَأَسْتَعِذُّهُ حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَّرْتُ لِلْآخِرِينَ لَا أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا".^٢

ثالثًا: لَا يَجُوزُ لِلْمُجَنِّدِ أَنْ يَقِفَ أَعَزَلَ أَمَامَ قَوَاتِ الظُّلْمَةِ.. لَقَدْ أَخْرَجَتْ أَمْرِيكََا بَعْدَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهَا الرَّاقِدَةَ فِي مَخَازِنِهَا لِتَحْمِي حُدُودِهَا الْمَكشُوفَةِ. وَأَرْضَهَا الَّتِي كَانَتْ مَشَاعًا لِكُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ. وَأَجْوَاهَا الْعَارِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ تَحُومُ فِيهَا الْغُرَبَانُ الْمُؤَدِّيَّةَ وَلَا ضَابِطَ لَهَا. أَسْرَعَتْ وَهِيَ خَجَلِي تَعْطِي مَا تَعْرَى لِلْعَدُوِّ مِنْ عَوْرَتَيْهَا. وَتَسْتَرُ مَا تَبْقَى لَهَا مِنْ شَرَفٍ وَكِرَامَةٍ. وَتَعَالَتْ صِيحَاتُ الْأَتْقِيَاءِ فِيهَا تَنَادِي بِالْحَاجَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْمُكَرَّسَةِ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ. وَالتَّمَنُّقِ بِالْأَسْلِحَةِ الرَّوحِيَّةِ. وَنَحْنُ كَمُؤْمِنِينَ لَيْتِنَا نَصْغِي إِلَى مَا قَالَهُ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَّةِ إِلَى مُؤْمِنِي كُورِنْثُوسِ الْأَصْحَاحِ الْعَاشِرِ: "لَأَنَّنَا وَإِنْ كُنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نَحَارِبُ. إِذْ أَسْلِحَةٌ مُحَارِبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونِ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلُوٍّ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ". وَلَيْتِنَا نَصْغِي إِلَى مَا كَتَبَهُ بَطْرُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ وَهُوَ يَنْصَحُ بِقَوْلِهِ: "مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمَجَابَّةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكَ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ".^٣

لَقَدْ كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي أِفْسُسَ عَنْ سِلَاحِ اللَّهِ الْكَامِلِ الَّذِي يَلْزِمُ الْمُؤْمِنَ لِيَقِفَ ضِدَّ قَوَاتِ الظُّلْمَةِ كَجَسَدِي صَالِحِ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ يَقُولُ: "أَخْبِرًا يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. لِيَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَنْتَبِهُوا ضِدَّ مَكَائِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ. بَلْ مَعَ الرُّؤْسَاءِ مَعَ السَّلَاطِينِ. مَعَ وِلَاةِ الْعَالَمِ. عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ. مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرَّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَحْمَلُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ. لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَقَاوَمُوا فِي الْيَوْمِ الشَّرِيرِ. وَبَعْدَ أَنْ تَنْتَمُّوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَنْتَبِهُوا. فَانْتَبِهُوا مُنْتَبِطِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ. وَلا بَسِيئَ دِرْعَ الْبِرِّ. وَحَازِنِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلَامِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ نَرَسَ الْإِيمَانِ. الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تَطْفِئُوا جَمِيعَ الشَّرِيرِ الْمُتَلَهِّبَةِ. وَخَذُوا خُوذَةَ الْخِلَاصِ وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ. مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطَلِبَةَ كُلِّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ. وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بَعِيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاطَبَةٍ وَطَلِبَةٍ لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ".^٤

لَيْتَكَ أَخِي تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيَّ. أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ أَنْتَ لِي الْبِرُّجُ الْحَصِينِ. الَّذِي يَرْتَكِزُ إِلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَبِخِلَاصِكَ يَتَمَتَّعُ. أَسْأَلُكَ إِلَهِي عَوْنًا. كَيْ أَكُونَ مُتَسَلِحًا بِكَلِمَتِكَ الْفَعَّالَةِ. مُتَمَنِّطًا بِالْحَقِّ. لِابْسَا دِرْعَ الْبِرِّ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِي.. مُتَمَسِّكًا بِوَعْدِكَ يَا مَنْ قَلْتُ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ٨ - ٩

^٢ سفر المزامير ٧٣: ٢ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمن رومية ٧: ١٨ ، ورسالته الأولى إلى مؤمن كورنثوس ٩: ٢٧

^٣ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمن كورنثوس ١٠: ٣ - ٥

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمن أفسس ٦: ١٠ - ١٨ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١٥